التخويف

• الطاهر بن جلّون*
ترجمة: سعيد الجاوي

الشَّبَهُ بين هذين الرجلين بيِّن. فهما يرتديان البذلةَ نفسَها والقبعةَ ذاتَها. يمشيان مترنحيْن شيئًا ما. جاوزا الثلاثين من عمرهما. وهما أسمران وملتحيان، وكلاهما ماسك بيده كيسَ بلاستيك ينفلت منه سائلٌ أمغر. عندما فتحا بابَ المطعم، دَفَعا بقوةٍ رجلاً مسنًّا كان منصرفًا، دون أن يلتفتا ليعتذرا إليه. تقدَّما وسطَ القاعة مُوقِعيْن في عبورهما الكراسي الفارغةَ، ثم جَذَبا سماط المناضد المعدَّة. الكؤوس والصحون تناثرتْ شظاياها على الأرض. أحدُهما رَكَلَ دورقَ الماء الذي ارتطم بطاولة الشراب وتحطَّم. النادل أرجع الكراسي إلى أماكنها في صمت، أما زميلُه فأخرج مكنسةً والتقط بها بقايا الزجاج والخزف. عاين الزبناءُ المشهدَ بلا اعتراض؛ لقد سَبَقَ أن شاهدوا ذلك في السينما. بعضُهم استمرّ في الأكل كأنَّه لم يلاحظ شيئًا. وضع الرجلان كيسيْهما على المنضدة ثمَّ صَفَّقا يناديان النادل، بعد أن ركن ورتّب المكنسة. أحدُ خدّام المطعم اقترب من المنضدة قائلاً:

ـ نحن في خدمتكما. ماذا هنالك؟

قهقها. أحدُهما جذب ربطةَ عنق النادل السوداء إلى حد طأطأته إلى مستوى المنضدة.

ـ أيُّها الملوَّث بالغائط، ائتينا خمرًا وصحنيْن كبيريْن مع مرق البندورة.

ـ نعم سيدي.

رجعا إلى القاعة واستفهما شابًا يتناول وجبةَ الغداء مع صديقته.

ـ أيُّها المشقرّ، أتظنّ أنَّه يحقّ لك أن تكون بصحبتك عاهرةٌ بهذا الجمال؟!

ـ اذهبْ لا ترجع أبدًا إلى هذا المكان.

أخرجا من كيسيهما الملقيْن على المنضدة سرطانًا بحريًا وسلطعونًا وتوتياء بحر ومحارًا وأصدافًا. السماطُ أصبح مبللاً.

عندما أحضر النادلُ الخمرَ قال له أحدهما:

ـ أيُّها البدويّ، لن يقدَّم لنا الطعامُ على هذه المائدة. أعِدَّ لنا المائدةَ المستديرةَ هناك.

ـ لكنْ، سيِّدي، إنَّها مشغولة.

ـ لينصرفوا وإلاّ ساء حالُهم.

على هذه المائدة نُسختْ بعنايةٍ قصيدةٌ لليوناردو سكاتشيا: «أنا تمثال أبتر في خلفي ماء صاف/ ذو حركات متدلية، مهشّمة/ارتجاف الأشياء المعكوسة وحدها/ أشجار تعانق السماءَ وطيران سريع/ بوسعهم أن يمنحوني هذيان الزمن وأن يغيِّروا العدم.»

على الجانب وُضعتْ صورةٌ للشاعر محتضنًا بذراعيْه صاحبَ المطعم. قرأ الرجلان الأبيات الأولى وهما يقهقهان. ألقى أحدُهما سلطعونًا على إطار الصورة فتكسَّر زجاجُها. نهض زوجان وخرجا بسرعة، بينما جلس الرجلان واضعيْن أرجلهما على المائدة المجاورة. تذوّقا أصدافَ البحر محدثيْن صوتًا مزعجًا بلسانيهما. تجشّأا صوب الزبناء. بصَقَ أحدُهما الخمر. أما الثاني فنشَّفَ يديْه المتسختين بوزرة النادل ثم صرخ:

ـ أين هو صاحب المطعم؟ أين يختفي؟ لماذا لم يظهر؟

أردف الآخر قائلاً:

ـ إنَّه خائف، يحب الشعراء!

---

* ـ كاتب مغربيّ. والقصة من كتابه **L'ange aveugle**، مطبوعات دوسوي، ١٩٩٢. والمترجم مغربيّ أيضًا.

ـ أنا بدوري أحبّ الشعر. أنْصِتْ: «آه يا شمسي يا سيسيليا!»

نهضا وشربا نخبيْهما وكسّرا الكؤوس على الحائط.

ـ لم نأكلْ جيِّدًا، الشراب رديء، الزبناء جبناء، وصاحب المطعم هلع، وخدّام المطعم شعراء. لهذا السبب سيسيليا مريضة.

جالا حول المناضد مُوقِعيْن بعض الكؤوس.

قبل أن يغادرا المطعم صَفّقا بأيديهما كأنّهما يريدان أن يحوزا الصمت، وصرخا معًا:

ـ هذه زيارة لطيفة. المرة القادمة يصحّ لصاحب المطعم أن يفتح لنا البابَ بنفسه وأن يقتسم معنا وجبتنا!

في هذه اللحظة دخل رجل أنيق طويل القامة يناهز عمرُه الأربعين، بيده مسدّس موجّهٌ صوب الجانيَيْن.

ـ صاحب المطعم هو أنا. اخلعا ملابسكما!

نادى الخادميْن: «ريناطو، أورلاندو، أَعْطياهما المكانسَ والجنافيصَ لينظّفا المطعم!»

ثم توجّه إلى الزبناء قائلاً:

ـ سيداتي، سادتي. معذرةً عن هذا الإزعاج. نحن في سيسيليا، البلدِ المكلوم، أيُّ زقاقيّ يَسْمح لنفسه بأن يُرْهب الناسَ الطيبين. أنا قاومتُ ومازلتُ أقاوم. أنا وحيد وأرفض أن أَخْضع لقانون الغاب. هده هي آخرُ وجبةٍ أقدّمها. غدًا لن تُفْتح أبوابُ هذا المطعم. لن يبقى شيء.»

باريس

من قسم الاشتراكات

تعلن الآداب أنّه، بسبب رفع أسعار الشحن البريدي من قبل الشركة المخصخصة، ستضطر إلى رفع قيمة الاشتراكات لعام ٢٠٠٤ قليلاً. نعتذر عن هذا الإجراء. ونرجو أن ترسلوا احتجاجاتكم إلى الشركة المعنية.

لبنان: لا تغيير.

البلدان العربية (باستثناء دول المغرب العربي): ٤٥ دولارًا للأفراد. ٩٠ دولارًا للمؤسسات.

أوروبا وأفريقيا وبلدان المغرب العربي: ٥٥ دولارا للأفراد. ٩٥ دولارا للمؤسسات.

بقية الدول: ٧٠ دولارًا للأفراد. ١١٠ دولارات للمؤسسات.